التمثيل السياسى
بين الخلافة العباسية والدولة البيزنطية

لم تكن العلاقات بين المسلمين والبيزنطيين فى العصور الوسطى ، قصة حروب متصلة الحلقات ، أو إغارات متكررة تبادلها الطرفان ، على نحو ما يستشف القارئ العابر من الحوليات التى تناولت تلك العلاقات بالتأريخ . فقد جهدت الدولتان الإسلامية والبيزنطية على إقامة علاقات حسن الجوار ، وتجنيب رعاياهما ويلات الحروب . واعتمدتا فى تنفيذ السياسة السالفة على ديوان الرسائل ، وهو ما عرف أيضاً فى الدولة الفاطمية بديوان الإنشاء والمراسلات . فكان هذا الديوان أشبه بوزارة الخارجية فى المصطلح الحديث ، يوجه سياسة الدولة الخارجية ، ويضع التوجيهات والتعاليم التى تسير عليها هذه السياسة .

وتمتع صاحب ديوان الرسائل ، (أو وزير الخارجية) λόγοθέτης τοῦ δρόμου فى الدولة البيزنطية بمركز رفيع . فكان أعظم المقربين إلى الأمبراطور ، وأكثر الناس ملازمة له فى جلساته العامة والخاصة[1]. وتمتع قرينه فى الدولة الإسلامية بنفس السلطان والنفوذ ، حسبما ورد فى نص متأخر تناول فى إسهاب تاريخ ديوان الرسائل أو الإنشاء ؛ « فهو أول داخل على الملك وآخر خارج عنه ، ولا غنى له عنه فى مفاوضته فى آرائه ، والإفضاء إليه بمهماته ، وتقريبه منه فى آناء ليله وساعات نهاره . . . . . ، فهو لذلك لا يثق بأحد من خاصته ثقته به ، ولا يركن إلى قريب ولا نسيب ركونه إليه .[2] »

وتولى صاحب ديوان الرسائل[3] انتقاء السفراء عندما تقتضى الظروف

---

(١) S. Runciman, Byzantine Civilization, 155.

(٢) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ١٠١ ، ١٠٢ .

(٣) كان المضطلع بهذا المنصب الجليل يتحلى بصفات خلقية وعلمية ممتازة . فلا بد من توافر

الاتصال الدبلوماسى . إذ لم يكن للدولتين الإسلامية والبيزنطية ممثلون دائمون ، أو دور سفارات متبادلة بينهما على نحو ما هو معروف فى العصر الحديث . فكان السفير إذ ذاك أشبه بما يعرف اليوم من « السفراء فوق العادة » ، الذين يوفدون لأداء عمل ينتهى بانتهاء مهمتهم[١] . على أن اختيار السفراء لم يجر اعتباطاً ، وإنما وضعت الدولة الإسلامية شروط عدة لانتقائهم ، أهمها توافر مميزات جسمانية وخلقية وثقافية .

وقد وضعت المؤلفات العربية لبيان الشروط الواجب توافرها فى السفير ، وذكرت أمثلة عدة لسفارات عربية وغير عربية للإيضاح وإكمال الفائدة . ومع أن هذه الكتب العربية متأخرة عن الفترة التى يعالجها موضوع المقال على هذه الصفحات ، فإن أهميتها جليلة فى بيان علو كعب الدولة العباسية لما ذخرت به من أمثلة عديدة لسفراء هذه الدولة . كما أن التعليمات والتوجيهات التى رددتها هذه الكتب لا تقل عن الأعمال التى دونها علماء الدولة البيزنطية فى ميدان السياسة والدبلوماسية[٢] . ومن ثم تشابهت أعمال السلطات الإسلامية والبيزنطية تقريباً فى انتقاء سفرائهما والمهام التى ألقيت على كاهل أولئك السفراء .

الفطنة والزرانة فيه ، فلا يكثر من التصريح فى كلامه ، ويستغنى عن ذلك بالإشارة والإيماء كلما استطاع إلى ذلك سبيلا . وإلى جانب ذلك كان عليه أن يلم قدر استطاعته باللغات الأجنبية كتابة وحديثاً ، ولا سيما التى تتعلق بأمور دولته .

(١) Runciman, op cit, 156

(٢) من الكتب العربية الهامة التى تناولت التمثيل الدبلوماسى للدولة الإسلامية ، وشروط اختيارها للسفراء ، وذكر أمثلة لمهام أولئك السفراء وما جرى لهم من أحداث ، كتاب « رسل الملوك ، ومن يصلح للرسالة والسفارة » ، لمؤلفه ابن الفراء . وقد نشر هذا الكتاب الأستاذ صلاح الدين المنجد ، وعلق عليه فى إسهاب . ودون أحد أباطرة الدولة البيزنطية ، ويدعى قنسطنطين السابع (الملقب بورفيروجنيتوس) كتاباً اسمه « المراسيم » (De Ceremoniis) شرح فيه لابنه قواعد اللياقة (البروتوكول) الواجب اتباعها فى البلاط البيزنطى . وتناول فى هذا الكتاب ذكر للسفراء البيزنطيين ومهامهم ، ووصف لاستقبال السفراء المسلمين وقواعد معاملتهم . ويعطينا هذان الكتابان خطوطاً عامة عن التمثيل الدبلوماسى بين العباسيين والبيزنطيين .

ومن الخصائص الجسمانية التى ذكرت فى انتقاء السفير[١] « تمام القدّ ، وعبالة (ضخامة) الجسم ، حتى لا يكون قميئاً ولا ضئيلا . وإن كان المرء بأصغرية ، ومخبوءً تحت لسانه ، فإن الصورة تسبق اللسان ، والجثمان يستر الجنان[٢] . » على أن هناك أمثلة قليلة جداً شذت فيها القاعدة السالفة عندما بذّت الخصائص الأخرى للسفير مميزاته الجثمانية . فكان يراعى فى السفير أيضاً الفطنة والذكاء ، والمقدرة على التعبير الصحيح ، والمعرفة الواسعة لشتى العلوم والفنون ، ولا سيما المسائل الدينية[٣] .

وبقدر توافر المميزات السالفة فى السفير بقدر ما زادت خدماته لدولته . ومن ثم تغالى كل من الخلفاء العباسيين والأباطرة البيزنطيين فى انتقاء السفراء ، إذ توقفت تحديد سياسة الدولة من سلم أو حرب على التقارير التى يقدمها أولئك السفراء بعد عودتهم . وكان السفير يزود قبل سفره بتعليمات سرية ، يمدها به قلم المخابرات السرية (أى الجواسيس) عن البلد الموجه إليه . فالمعروف أن المسلمين والبيزنطيين استخدموا الجواسيس بشكل ملحوظ لخدمة أغراضهم الحربية ، وتنفيذ مآربهم السياسية .

وسار التمثيل الدبلوماسى بين الدولتين العباسية والبيزنطية وفق قواعد مقرره ، ونظم ثابتة . واستهدف تحقيق أغراض تشبه إلى حد كبير الأعمال التى يضطلع بها رجال السلك السياسى بين الدول فى الوقت الحاضر . فكان السفير يزود قبل سفره بخطاب عليه الشارة الملكية ، أو الخاتم الملكى ، وبه تعريف بالمهمة التى كلف بها ، على نحو أوراق الاعتماد التى يزود بها السفراء فى الوقت الحاضر . وبعد أن يتم السفير إعداد أوراقه الرسمية يخرج على رأس قافلة ،

---

(١) تذكر المراجع العربية كلمة رسول للدلالة على كلمة السفير التى استخدمتها فى هذا المقال . والتحديد اللغوى لهاتين الكلمتين واحد ، فالرسول مهما تعددت أغراضه له صفة واحدة ، هى التوجيه ونقل الأخبار ، وكذلك السفارة معنى من معانى الرسالة ، وهو التوجه والانطلاق إلى القوم . وفضلت كلمة سفير لشيوعها فى الوقت الحاضرة .

(٢) ابن الفراء : رسل الملوك ، ص ٢٠ .

(٣) ابن الفراء : رسل الملوك ، ص ٢٢ ، ٢٣ .

محملة غالباً بالهدايا الثمينة لسيد البلاد المتجه إليها ، ولكبار رجال الدولة هناك[١] .

واعتادت السفارات الإسلامية والبيزنطية اجتياز الممر المعروف باسم أبواب قليقية ، عند ذهابها إلى القسطنطينية أو بغداد[٢] . وفى العاصمة يحدد للسفير يوم يقابل فيه ولى أمر البلاد ، وتقديم الرسالة الملكية التى يحملها . وقبل ذلك اليوم يقضى السفير وقته مع رجال القصر ، يتلقن منهم آداب مقابلة ولىّ أمر البلاد ، وأساليب التحية التقليدية . إذ لو أساء السفير السلوك أو لم يرع آداب الحديث ، يلقى فى السجن ، أو يعامل معاملة جافة[٣] .

ودأبت السلطات الرسمية على وضع السفير فى فترة الانتظار كذلك تحت الرقابة الشديدة ، ومنعه من الاطلاع على شىء لا ترغب الدولة فى كشفه له . فتحول السلطات مثلا بين اتصال السفير وبين الشخصيات التى يجب أن تظل بعيدة عن الشئون السياسية ، أو يخشى من اتصالهم كشف أسرار علمية أو حربية . ولكن السفراء جهدوا فى تلك الأثناء على مقابلة الشخصيات البارزة فى الدولة من الوزراء ، لتسهيل مهمتهم ، وتحقيق أسباب النجاح لها . فمن ذلك ، أن السفير البيزنطى نقفور أورانيوس (Nicephorus Uranius) كان مزوداً — عندما أوفد إلى بغداد سنة ٩٨٠ م — بتعليمات تنصحه بخطب ودّ عضد الدولة ، أعظم شخصية فى الدولة الإسلامية إذ ذاك[٤] .

وعندما يأتى يوم المقابلة يجلس الخليفة أو الإمبراطور فى أبهى حلة ، متصدرا كبار رجال دولته فى قاعة الاحتفالات ، ويخصص للسفير مكان بارز يليق بمقامة والمهمة التى جاء من أجلها ، ويقدم على سائر سفراء الدول الأخرى . إذ حرصت الدولتان الإسلامية والبيزنطية على معاملة سفرائهما معاملة ممتازة ، تنم عن تقدير كل دولة للأخرى . ويقدم السفير الخطاب الملكى ، فيتقبله

(١) Baynes, The Byzantine Empire, 74; Runciman, op cit, 158 .

(٢) Le Strange, The Lands of the Eastern Caliphate, 134.

(٣) Runciman, op. cit., 157.

(٤) Ibid., 158.

صاحب الأمر فى البلاد ، ويسلمه لوزيره ، ويستعرض بعد ذلك الهدايا . وكانت أنواع هذه الهدايا تذكر فى الخطاب الملكى . ففى خطاب ورد مع سفير بيزنطى للخليفة المعتصم جاء فيه قول الإمبراطور : « وقد تهادت الملوك من قبلنا ، وقد وجهت مع رسولى من الثياب الديباج المذهبة أربعين ثوباً ، طول كل ثوب منها أربعون ذراعاً فى عرض عشرين[١] . »

ويُسأل السفير فى المقابلة الملكية عن أحوال دولته وسيرة قادتها ، وعن مرافقها الاقتصادية وغيرها من الشئون التى تهم السلطات معرفتها . وتفاوتت مقدرة السفراء فى الحيطة فى الإدلاء بالمعلومات ، والاشادة بدولهم[٢] . وعندما تنتهى المقابلة يخرج السفير إلى دار الضيافة التى يقيم بها إلى أن ينتهى من مهمته . وتحتفى الدولة بالسفير مدة بقائه بعاصمتها حفاوة تهدف منها إعطاءه صورة طيبة عن أحوالها وهيبتها .

وتعددت مظاهر الحفاوة بالسفراء ، فكان يقام لبعضهم عرض عسكرى كبير ، تعرض فيه الدولة قوتها الحربية ، ولا سيما إذا كانت مهمة السفير تتعلق بإنهاء حالة حرب . وأحياناً يوضع للسفير برنامج للترفيه ، ومشاهدة معالم العاصمة وروائع العمارة بها . وكان السفراء يحذرون قبل سفرهم من التمادى فى التمتع بألوان الحفاوة ، حتى لا يدلوا بأقوال تسيئ إلى بلدهم أو تفشى أسرار خطيرة . فحرم عليهم شرب الخمر أو مصاحبة النساء أثناء تأديتهم سفارتهم[٣] .

وبذّت مشاهدة معالم العاصمة مظاهر الحفاوة الأخرى . ومن ذلك أنه وفد على الخليفة أبى جعفر المنصور أحد سفراء الدولة البيزنطية ، بعد انتهائه من بناء بغداد . فأمر الخليفة حاجبه الربيع بن يونس أن يصحب السفير فى جولة حول العاصمة ، يريه فيها قباب الأبواب ، ومناعة الأسوار ، وما فى عاصمته من العمران . وعندما عاد السفير من جولته سأله الخليفة عن ملاحظاته ،

---

(١) ابن الفراء ، نفس المرجع ، ص ٣٥ .
(٢) نفس المرجع السابق ، ص ٣٥ ، ٣٦ .
(٣) ابن الفراء : نفس المرجع ، ص ٢٥ .

ومدى ما تركته هذه المظاهر فى نفسه من أثر[١] .

وبالغت الدولة البيزنطية فى إكرام السفراء المسلمين ، فكانت تعهد إلى بعض موظفيها باصطحاب السفير لمشاهدة كنيسة أيا صوفيا أعظم الكنائس بالقسطنطينية ، وغيرها من الأديرة بالمدينة . وأقيمت حفلات للسفراء فى الملعب (Hippodrome) ، الذى كان يعد قلب المدينة النابض[٢] . إذ كان يؤمه علية القوم لمشاهدة المباريات الرياضية ، وألوان السباق والتنافس بين الرياضيين . وأظهر السفراء المسلمون اعتداداً بالنفس ، جعل الدولة البيزنطية لا تتبع معهم أساليب الترفيه التى دأبت على تقديمها لسفراء جيرانها من المتبربرين . فكان السفير المتبربر يشاهد غرف القصر الزاخرة باللعب وتماثيل الطيور والأسود ، التى تحرك آليا لإثارة الدهشة والعجب[٣].

ولم تصرف مظاهر الحفاوة السفراء عن تأدية مهمتهم ، كما لم تصرف الدولة الوافدين إليها عن مراقبتهم سراً . إذ كانت السفارات المتبادلة تهدف إلى التبليغ بقيام خليفة أو إمبراطور جديد على العرش ، أو إنهاء حالة حرب بين الدولتين أو تبادل الأسرى وإزالة حالة توتر توشك أن تؤدى إلى إشعال نار الحرب . وكان النوع الأول من السفارات قليل ، ولكن كثيراً ما أخفى وراءه أغراضاً سياسية ، هدفها استطلاع أحوال البلاد .

على أن السجل الدقيق لنظام السفراء يستشف من الأحداث التى دونتها الحوليات الإسلامية والبيزنطية عن تبادل الأسرى بين الجانبين . ففى سنة ٨٥٩ م (٢٤٦ هـ) أرسل الإمبراطور ميخائيل الثالث أحد كبار رجال دولته — ويدعى فى المراجع العربية أطروبيليس ، ويحتمل أنه قنسطنطين تريفيليوس (Triphylius) فى المراجع البيزنطية — إلى الخليفة العباسى المتوكل ، لمفاوضته فى تبادل الأسرى

---

(١) ياقوت : معجم البلدان (بغداد) ؛ ج ٢ ، ص ٢٣٣ .
الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد ، ج ١ ، ص ٧٨ .

(٢) ابن رسته : الأعلاق النفيسة ، ص ١٢٠ .

(٣) Baynes, op cit ,72

(٤) Vasiliev, Byzance et les Arabes, 234, 235.

لدى كل منهما قبل الاتفاق على الفداء . فأرسل الخليفة المتوكل فى نفس السنة سفيراً إلى القسطنطينية ، يدعى نصر بن الأزهر ، ليتأكد من صحة أقوال السفير البيزنطى[١] .

ووصل السفير العباسى إلى القسطنطينية متشحاً الملابس السوداء ، وعلى رأسه القلنسوة ، ومتمنطقاً سيفاً وخنجراً ، وهو اللباس الرسمى للعباسيين . وعندما جاء موعد مقابلة الإمبراطور أبى وزير خارجته — وكان بترونا س — خال الإمبراطور — أن يسمح للسفير بدخول البلاط على هذه الهيئة ، مبدياً إعتراضه على الملابس السوداء ، وعلى السيف بصفة خاصة . غير أن النخوة دبت فى نفس السفير الإسلامى ، واستبد به الغضب ، وهم راجعاً . فاضطر رجال الدولة البيزنطية إلى ملاطفة السفير ، حتى عاد إلى البلاط ، ودخل على الإمبراطور ، وقدم له الهدايا .

وروى السفير ما حدث له ، وما شاهده فى البلاط البيزنطى فى هذه الصورة الشيقة : « . . . . وأبوا أن يدخلونى بسيفى وسوادى . . . . فانصرفت ، فرددت من الطريق ، ومعى الهدايا نحواً من ألف نافجة مسك ، وثياب وحرير وزعفران كثير وطرائف . . . . وحملت الهدايا التى معى ، فدخلت عليه (أى الإمبراطور) فإذا هو جالس على سرير فوق سرير ، وإذا البطارقة حوله قيام . فسلمت عليه ، ثم جلست على طرف السرير الكبير ، وقد هيئ لى مجلس ، ووصفت الهدايا بين يديه[٢] . »

وكان مع الإمبراطور ثلاثة تراجمة ، نقلوا كلام السفير العباسى ، الذى أبدى كياسة ومهارة دبلوماسية قبل بدء الحديث ، إذ حذر المترجمين من الأطناب فى كلامهم قائلا لهم : « لا تزيدون على ما أقول لكم شيئاً[٣] » وقد حدث أثناء إقامة السفير العباسى بالقسطنطينية جفوة بين الدولتين الإسلامية

---

(١) الطبرى ، تاريخ الرسل ١ ج ١١ ، ص ٦١ .
(٢) الطبرى ، نفس المرجع ، ج ١١ ، ص ٦١ .
(٣) الطبرى ، نفس المرجع ، ج ١١ ، ص ٦١ .

والبيزنطية ، بسبب الخلاف على قلعة اللؤلؤة[١] بآسيا الصغرى . فبقى السفير أربعة أشهر لا يقابل فيها الإمبراطور لإنهاء مهمته . ولما سويت المشكلة السالفة استؤنفت المفاوضات لإجراء الفداء .

وتجلت فى هذه المرحلة من المفاوضات مهارة السفير الإسلامى الدبلوماسية . فبعد أن أتم الاتفاق أقسم كل من السفير وبترونا س — وزير الخارجية — نيابة عن الإمبراطور على احترام الشروط التى عقدوها . ولكن السفير العباسى التفت إلى الإمبراطور وقال : « أيها الملك ، قد حلف لى خالك ، فهذه اليمين لازمة لك ؟ » فأجاب الإمبراطور برأسه ، نعم . وعلق السفير على ذلك بقوله فى مذكراته : « ولم أسمعه (أى الإمبراطور) يتكلم بكلمة منذ دخلت بلاد بلاد الروم (أى الدولة البيزنطية) إلى أن خرجت منها ، إنما يقول الترجمان ، وهو يسمع ، فيقول برأسه ، نعم ، أو لا . . . . وخاله المدبر أمره[٢] . »

وكانت الخطابات التى يحملها السفراء لإجراء تبادل فى الأسرى ، واضحة الأهداف والأغراض . ومن ذلك كتاب جاء إلى المعتصم العباسى بعد عودته من حملة عمورية ، التى ضربها سنة ٨٣٨م (٢٣٢ هـ) انتقاماً لإغارة سبق أن شنها البيزنطيون على مدينة زبطرة الإسلامية عام ٨٣٧ م (٢٢٣ هـ) . فجاء فى خطاب الإمبراطور البيزنطى ما نصه : « إن الملوك لم تزل يغزو بعضها بعضاً ، ويعلو بعضها على بعض . . . . وقد كان منا بزبطرة ما كان ، وتبينت وجه الخطأ فيه . وقد كلت لى بالصاع أصوعاً فيما فعلت بعمورية . وأنا أسألك بالطينة المباركة التى أنت منها أن تنعم علىّ بإطلاق بطارقتى ، فإنهم مائة وخمسون بطريقاً . وأنا أفتدى كل واحد منهم بمائة من المسلمين[٣] . »

---

(١) تتحكم هذه القلعة فى الممر المشهور باسم الأبواب القليقية ، وحرص كل من المسلمين ، والبيزنطيين على بقائها فى قبضتهم . وكان أهالى هذه القلعة يحوّلون ولاءهم من السلطة الإسلامية إلى البيزنطية ، وبالعكس ، مما أدى كثيراً إلى بث روح التوتر بين الدولتين ، على نحو ما حدث فى الفترة السابقة الذكر بالمقال .

(٢) الطبرى ، نفس المرجع ، ج ١١ ، ص ٦١

(٣) ابن الفراء ، نفس المرجع ، ص ٣٤

ويبين الخطاب السالف حرص الدولة الإسلامية على الاحتفاظ بكبار الأسرى البيزنطيين . إذ استهدفت من ذلك تسخيرهم فى خدمة أغراضها السياسية . وتجلت هذه السياسة الإسلامية على عهد العباسيين بصورة واضحة أيضاً فى احتضانها لكبار رجال الدولة من البيزنطيين الخارجين على السلطات الرسمية بها . ومن ثم غدت مهمة السفارات كذلك وضع حد لهذه المشاكل ، التى كانت تلى فى أهميتها تبادل الأسرى .

وكان السفراء البيزنطيون يتحايلون ، فى أشباه هذه المهام الخاصة بإعادة اللاجئين السياسيين ، بوسائل أشبه بما يتذرع بها رجال السلك السياسى فى الوقت الحاضر . ففى السنوات الأولى من عهد الإمبراطور البيزنطى ثيوفيل (٨٢٩ — ٨٤٢ م) توجه رسول من قبله يدعى حنا النحوى إلى الخليفة العباسى المأمون ، ومعه خطاب يعلن للسلطات الإسلامية نبأ تولى الإمبراطور ثيوفيل العرش . وفضلا عن ذلك كلف السفير البيزنطى بتهدئة الحالة السياسية التى كانت متوترة إذ ذاك بين الدولتين الإسلامية والبيزنطية . ووقع الاختيار على حنا لتضلعه فى اللغة العربية ، حيث جهدت السلطات الرسمية على إيفاد السفراء من الضليعين فى اللغتين العربية واليونانية[١] .

وعمد حنا على أن يبدو أثناء إقامته فى بغداد بمظهر الثرى الجواد . فكان يحمل للخليفة العباسى هدايا ثمينة ، كما نثر الذهب على المحيطين به كما تنثر الرمال ، على حد قول المراجع البيزنطية ، وأجزل العطاء لمن اتصل بهم فى دار الضيافة ببغداد[٢] . وكان حنا يخفى بهذه المظاهر هدفاً آخر جاء من أجله إلى العاصمة الإسلامية . إذ قام ببغداد فى ذلك الوقت لاجىء بيزنطى يدعى مانويل ، كان من كبار القادة البيزنطيين وأعظمهم خبرة بفنون القتال . وقد اتهم هذا القائد فى أوائل الإمبراطور ثيوفيل العرش بالتآمر على سلامة الدولة . ففر مانويل إلى حدود قليقية ، حيث قابل عمال الحدود المسلمين ، وطلب منهم

---

(١) Bury, History of the Eastern Empire, 256.

(٢) Ibid., 256.

السماح له بمقابلة الخليفة[١] .

ورحب المأمون بهذا القائد ، واستخدمه فى الحملات التى شنها ضد طائفة الخرمية وزعيمها بابك . وكانت جماعة الخرمية شديدة المراس فى ثورتها على الخلافة الإسلامية بتحريض البيزنطيين ، لإحداث القلاقل بالدولة ، وصرفها عن الهجوم على أراضيها . ولكن تبين للإمبراطور ثيوفيل بعد استتباب الأمر له فى الدولة براءة القائد مانويل ، وعمل على استدعائه للاستفادة من خدماته مرة أخرى ، وحرمان الدولة الإسلامية من جهوده . ومن ثم جاء حنا النحوى متخفياً تحت ستار إعلان نبأ تولى الإمبراطور ثيوفيل العرش ليتصل بمانويل سراً ، ويغريه على العودة إلى بلاده[٢].

واستطاع حنا تأدية مهمته ، فالتقى بمانويل بعيداً عن أعين الرقباء وأبلغه عفو الإمبراطور ، وتأكده من براءته ، ووعده برفع منزلته . واتفق مانويل مع حنا على خطة الهروب . إذ تمكن مانويل من إغراء الخلافة العباسية باشتراكه فى حملاتها على الدولة البيزنطية . وعندما اقترب من الحدود فرّ إلى داخل الأراضى البيزنطية[٣] ، بعد نجاح سفارة حنا النحوى .

وهكذا كانت العلاقات الدبلوماسية بين الخلافة العباسية والدولة البيزنطية المحور الذى دارت عليه كثيراً من أحداثهما ، وصمام الأمن الذى حفظ التوازن بينهما ، عندما اشتدت الأزمات . كما حققت السفارات المتبادلة بينهما أغراضاً شتى من جس النبض والتحايل على تنفيذ المآرب من أسهل طريق وأيسره . ولكن رغماً عن تعدد الأغراض التى اضطلعت بها السفارات بين العباسيين والبيزنطيين فإنها تنهض دليلا على ماساد الطرفين من ميل إلى تسوية مشاكلهما بالطرق السلمية ، والعمل على إقامة علاقات حسن الجوار ، بما يكفل لهما الحياة الهانئة الطيبة .

دكتور إبراهيم أحمد العدوى
أستاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد — جامعة القاهرة

---

(١) Bury, op. cit., 257.

(٢) Ibid., 257.

(٣) Ibid., 258.